لمسات بيانية في سورتي يونس و سبأ

وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة : يونس وسبأ

" وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" ــ يونس:٦١

" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" ــ ســبأ:٣

نحتاج إلى توضيح الفروق بين

ــ ما يعزُب ، لا يعزب

ــ مثقال ، من مثقال

ــ السماء ، السموات

ــ تقديم وتأخير

ــ أصغرَ ، أصغرُ

ــ عن ربك ، عننه

بداية الآية مختلفة ، التذييل متشابه

آية سبأ جاءت تذييلا وتعقيبا للحديث عن الساعة

آية يونس جاءت لبيان مقدار إحاطة علم الله بكل شيء، وسعة ذلك العلم

ترتب على هذا اختلاف التعبير بين الآيتين

ــ لا يعزُب ، ما يعزب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* لفرق بين (لا) و (ما) عند دخولها على المضارع

_ (لا) كما يقول أكثر النحاة للاستقبال

الزمخشري: (لا) و (لن) أختان في نفي المستقبل

ــ رأي آخر (يفضله الدكتور) (لا) مطلقة، قد تكون للاستقبال فعلا، مثل: "لا تفتح لهم أبواب السماء" ، و "لا تجزي نفس عن نفس شيئا"

وقد تكون للحـــال: "ما لي لا أرى الهدهد .. "، "أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا" ، " ما لكم لا تنطقون"، " لهم قلوب لا يعقلون بها .. "

والسبب أن (لا) أقدم حرف نفي في العربية ، وكل الحروف جاءت بعدها، لذلك فاستعمال (لا) واسع، فهو أوسع حرف في العربية، يدخل في الماضي والمضارع والمستقبل والحال، يدخل على الأسماء النكرات والمعارف ، الاستغراق وغير الاستغراق

* في آية سبأ:"لا تأتينا الساعة" نفوا شيئا مستقبليا ، فرد عليهم بـــ (لا) "لا يعزب" ، ثم إنه أقسم "بلى وربي" جوابه في المضارع لتأتينه وجوابه في النفي (لا)

يقول سيبويه: (لأفعلن) نفيه (لا أفعل)

إذن اقتضى المقام كله النفي بلا، فناسبت الآية (لا) من كل جهة

١ــ الاستقبال

٢ــ القسم المتقدم إثباته وجوابه

* أما آية يونس فالكلام ليس عن مستقبل ، بل عن الحال فناسب أن يأتي بـــ (ما)

ــ عنه، عن ربك

في آية يونس (عن ربك) ــ وقال في سبأ (عنه)

إذ تقدم في سبأ "بلى وربي" ، أي تقدم ذكر الرب، ولم يأت في يونس

ــ عالم الغيب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عالم (اسم فاعل) جاءت في سورة سبأ، لا تأتي في القرآن إلا مع الغيب المفرد

أما علام فتأتي مع الغيوب لأنها صيغة مبالغة تقتضي التكثير

نظيرها (غافر) تختص بالذنب، أما (غفور) فعامة

ـــ مثقال ، من مثقال

(من) الزائدة الاستغراقية تفيد الاستغراق والتوكيد

نقول: (ما حضر رجل)

تعني: لم يحضر أي رجل ، لم يحضر أي فرد من هذا الجنس

ويحتمل : لم يحضر رجل واحد بل اثنان أو أكثر

ونقول: (ما حضر من رجل) تفيد استغراق الجنس كله، فهو نفي قاطع للحضور فلم يحضر أي أحد ولا مجال للاحتمال

فالتعبير الأول تعبير احتمالي ، التعبير الثاني تعبير نصي قطعي

* آية سبأ ليس الكلام فيها عن علم الغيب أصالة، الكلام في التعقيب على الساعة ، أما سورة يونس فالكلام أصلا عن سعة علم الله عز وجل ، وبيان مقدار إحاطة هذا العلم بكل شيء

فسياق إحاطة علم الله بكل شيء هو الذي يقتضي التوكيد والإتيان بمن الاستغراقية

ومثلها (من عمل) استغراق وعموم لا يستثني شيئا

ـــ في الأرض ولا في السماء ، في السموات ولا في الأرض

آية سبأ تتحدث عن الساعة، والساعة إنما يأتي أمرها من السماء وتبدأ بأهل السماء: "ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض"

"ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات والأرض"

أما يونس فالكلام فيها على أهل الأرض فناسب أن يقدم المكان (الأرض)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ــ ومثلها " إنّ الذينَ كَفَروا بِآياتِ الله لَهُم عَذابٌ شديدٌ والله عَزيزٌ ذو انتِقام إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء" كلام عن الذين كفروا

ــ " وهُو الذي يُصَوّركم في الأرحام كَيف يشاء"كلام عن أهل الأرض

" إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء"قدم الأرض

ــ "رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ" ــ ابراهيم:٣٨

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ" ــ ابراهيم:٣٩

ــ وقال تعالى: "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَيَرْحَمُ مَن يَشَاء وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ. وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ" ــالعنكبوت:٢٢

تقديم الأرض، وفيها إعجاز آخر إذ فيها إشارة إلى أنهم سيصعدون إلى السماء ولن يعجزوه حتى وهم هناك

والسماء = ١ ــ كل ما علا حتى المطر والسحاب، وهي بهذا أوسع

٢ ــ أو واحدة السموات

نلحظ أنه في حالة الاستغراق والشمول جاء بالحالة الأوسع، اما الحالة التي لم يكن فيها استغراق جاء بحالة أخرى (سبأ)

ــ أصغرَ ، أصغرُ

في حالة الاستغراق جاءت (ولا اصغرَ) بالبناء على الفتح، وهذه اللا تسمى النافية للجنس

(لا رجلَ حاضرٌ) تنفي جنس الرجال

(لا رجلٌ) تحتمل نفي الجنس ونفي الوحدة، ومثلها مثل (ما)

يقول النحاة ابتداء من الخليل: عندما تقول (لا رجلَ) كأنه جواب لسؤال : هل من رجل؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضمر من الاستغراقية

فإن سألت : (هل من رجل؟) فجوابه: (لا رجلَ)

وإن سألت: (هل رجلٌ؟) فجوابه: (لا رجلٌ)

فالنافية للجنس هي أصلا تتضمن معنى (من) الاستغراقية

فقال (أصغرَ) في يونس

وهذا مناسب لوجود (من)، ويناسب الاستغراق لمواطن الاستغراق في بداية الآية (وما تتلو...)

أما التي ليست للاستغراق جاء فيها (ولا اصغرُ)

فجعل (أصغرُ) في غير موضع الاستغراق

المصدر: لمسات بيانية في نصوص التنزيل تأليف الدكتور فاضل السامرائي

http://www.lamasaat.8m.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com